هوامش

إثر التظاهرات التي عمّت أرجاء أوروبا بعد مقتل جورج فلويد في الولايات المتحدة، بدأ عدد من المتاحف الأوروبية باتخاذ خطوات جدية نحو إعادة التحف والآثار المسروقة من البلاد التي استُعمرت

داخل متحف ريكز (Getty)

متاحف هولندا
بلدان تستردّ إرثها الحضاري

ناصر السهلي

تعيش دول الاستعمار الغربية السابقة، منذ أعوام قليلة، سجالاً حول ما إذا كان يجب إعادة آثار وإرث الدول المُستعمَرة، التي سُرقت إلى متاحف ومخازن وشوارع أوروبية.

وتذهب هولندا هذه الأيام خطوة في اتجاه نقاش جدي، عززته حركة الشارع العام المنصرم بشأن الماضي الاستعماري للدول الأوروبية، والذي شمل محاولة تدمير تماثيل تجسد شخصيات انخرطت في تجارة الرقيق والاستعمار، في أكثر من بلد. وما يجري في هولندا، يمهد الطريق أمام نقاش أوروبي عميق لتسليم تلك الآثار لأصحابها، ومن بينها فرنسا وبلجيكا وألمانيا والدنمارك ودول أخرى.

ففي شهر أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، أوصى تقرير لجنة هولندية خاصة بتقييم الكنوز والتحف بإعادة أمستردام الآثار إلى دول المنشأ، تلك التي يجري عرضها في عدد من متاحف البلاد، وعلى رأسها متحف الفنون الجميلة «ريكز»، الشهير بمحتوياته من مسروقات مستعمرات هولندا السابقة في آسيا وأفريقيا. وتساند إدارة متحف «ريكز» تسليم الآثار إلى شعوبها الأصلية.

تقرير اللجنة الخاصة، الذي يُناقش هذه الأيام في أروقة الحكومة الهولندية (على أمل اتخاذ قرار بعد انتخابات الربيع المقبل)، يطالب باعتراف رسمي هولندي بأنه «من المجحف وغير العادل» أن تضم متاحف البلاد مقتنيات بشكل غير قانوني. وهو ما عززه دعم عدد من المتخصصين ومتاحف هولندا لتسليمها للشعوب التي سلبت عنوة إرثها الثقافي.

وبحسب تقرير لجنة التوصيات، فإنّ الأمر يتعلق بآلاف القطع النادرة التي حملها المستعمرون الهولنديون معهم، وفقاً لما نقل موقع «آرت نت» بداية فبراير/ شباط الحالي.

ومن بين تلك الموجودات، كما تشير اللجنة، تحتوي متاحف هولندا، على مصنوعات يدوية وتحف تاريخية طبيعية ومصنوعات إثنولوجية، وأخرى ترتبط بديانات ومعتقدات الشعوب التي استعمرت، وأشهرها قطعة ألماس يبلغ وزنها 70 قيراطاً، وكانت تخص أحد سلاطين إندونيسيا السابقين.

ومع انتصاف فبراير/ شباط، تدخل عملية تقييم الموجودات طوراً عملياً لناحية حصرها بالتزامن مع نقاشات متخصصة، لغرض ترحيلها إلى بلادها الأصلية. ونقل موقع «آرت نيوز بابير» (صحيفة الفنون) عن الفيلسوف وخبير إعادة تحف الشعوب الأصلية إلى موطنها، جوا فان بويردن، أنّ نقاش هولندا يعتبر «رائداً وتصرفاً تقدمياً للانفصال الجذري عن الماضي الاستعماري، ويجب ألا يقتصر النقاش على ما نهب في الحروب وحقبة الاستعمار من تحف ومقتنيات، بل أن ندخل في النقاش الحساس حول تلك الفترة، حيث يجب ألا يكون هناك مكان للسرقات وعرضها في متاحف البلاد».

وعبرت وزيرة الثقافة والتعليم الهولندية، إنغريد فان إنغلشوفن، عن سعادتها بأن الحكومة الهولندية ستشكل الآن لجنة مستقلة مسؤولة عن عملية تجميع وترحيل المقتنيات التي جرى إحضارها عنوة أو «بسبب اختلال التوازن بين قوة المستعمرين والشعوب الأصلية وتحفهم وآثارهم التي سرقت»، بحسب ما ذهب بيان حكومي.

وعن حجم هذه المقتنيات التي ستسلم لشعوبها، أكدت الوزيرة الهولندية أنها «ستشمل كل قطعة يجري التيقن من أنها سرقت من مستعمرات هولندا السابقة (في أفريقيا وآسيا) وستعاد من دون أي تحفظ أو شرط». السجال الهولندي، يأتي في سياق نقاش عالمي أوسع، سرعت منه أحداث ما بعد مقتل الأميركي الأسود جورج فلويد على يد رجال شرطة بيض، وما تبعه من تظاهرات احتجاجية شملت نخباً ثقافية أوروبية.

وكان الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، أكد أثناء زيارته إلى بوركينا فاسو،2017، على أن بلاده ذاهبة لبحث إعادة كل قطعة مسروقة إلى بلدها الأصلي. يمتد النقاش من هولندا إلى ألمانيا، وبلجيكا، والدنمارك، وبريطانيا، حول الآثار المسروقة فترة الاستعمار. وتحتضن فرنسا آلاف التحف التي نُهبت من مستعمراتها السابقة، وخصوصاً في أفريقيا التي أكد ماكرون أنه يرفض أن يكون «إرث البلدان الأفريقية في فرنسا، ورغم الظروف التاريخية فمن غير المقبول وغير العادل أن تستمر الأمور على ما هي عليه الآن». وشهدت متاحف فرنسية احتجاجات عدة، من قبل نشطاء أفريقيين ومحليين مناهضين للاستعمار، عرض كنوز أفريقيا التي حملها المستعمرون من القارة إلى فرنسا خلال الفترة الاستعمارية الطويلة في القارة السمراء. وأكد ماكرون أن «لجنة متخصصة تدرس القضية» كما تفعل هولندا.

ويمتد النقاش إلى ألمانيا، وبلجيكا، والدنمارك، وبريطانيا، حول الآثار المسروقة فترة الاستعمار. وإذا كانت متاحف هولندية أبدت موافقة على إرجاع تلك المقتنيات؛ فإن متاحف أوروبية أخرى تعيش قلقاً من تفريغ رفوفها وقاعاتها من تلك المعروضات، والتي تشكل حجر زاوية في إقبال الجمهور عليها، وهي أيضاً آثار شكلت لعقود هوية تلك المتاحف في عواصم أكثر من دولة أوروبية.

باختصار

وزيرة الثقافة الهولندية: كل قطعة يجري التيقن بأنها سرقت من مستعمرات هولندا السابقة ستعاد دون أي تحفظ أو شرط

■■■

تحتوي متاحف هولندا، على مصنوعات يدوية وتحف تاريخية طبيعية ومصنوعات إثنولوجية، وأخرى ترتبط بديانات ومعتقدات الشعوب

■■■

تدخل عملية تقييم الموجودات طوراً عملياً لناحية حصرها بالتزامن مع نقاشات متخصصة، لغرض ترحيلها إلى بلادها الأصلية

وأخيراً
شاعر علَّمنا الحب

سما حسن

«رأيتُ رام الله» .. لو كان هذا كلّ إنتاجه نثرًا، وهو مصنَّف شاعرا فيكفي. وهناك من قالوا: لو كان كلُّ إنتاجه هو الشاعر تميم البرغوثي، فهذا يكفي. وذهب آخرون إلى أن قصة حبّه رضوى عاشور كافية أن تحفظ اسميهما للتاريخ. ويبدو أن تعدُّد الآراء التي تريد أن تختصر حياة شاعر يمنحك الفرصة؛ لكي تكتب بأريحية أكثر؛ فتمسك بجوانب كثيرة، فرحيل مريد البرغوثي المباغت، في يوم احتفال العالم بما يسمّى «يوم الحب»، كأنه يريد أن يقول لنا تذكّروا قصة حبِّي رضوى عاشور، في هذا اليوم. وكأنه يريد أن يبلّغنا رسالة، أن قصص الحب التي لا تموت هي التي تكتبها المواقف، وليس الهدايا المغلَّفة، ولكننا للأسف لا نعثر على قصص حب فعلية وحقيقية وباقية، إلا نادرًا، فهذه الأيام هي أيام قصص العلاقات العاطفية المتوتِّرة التي تتحوَّل شظايا، ولا يصل إليك إلا ما يريد أصحابُها إيصاله إلى الآخرين، على الرغم من أن قصص الحب الحقيقية هي القصص الباقية، بعد رحيل أحد طرفيها، والمحبوسة بين جدران البيوت السعيدة، ودفَّات كتب التاريخ، شهادات على صدور العشَّاق. الذين تمرَّدوا على قصص الحب التقليدية قلَّة، وربما انتعشت قلوبنا، وارتجفت، كورقة شجر تدبُّ فيها الحياة، تحت قطرات الندى، وظللنا نحلم بقصةٍ مثلها، تحدث معنا، ولكن الأمنية ظلَّت أمنية، ولم نمسك بقصة حبِّنا الحقيقية؛ لأننا باختصار لم نحب الذين يحبوننا، بالطريقة التي يحبُّون أن نحبهم بها، كما قال الشاعر مريد البرغوثي واصفًا ما علَّمته إياه الحياة. ولذلك أحبَّ رضوى عاشور حتى يومها الأخير الذي جلس الموت في حضنها، فحنت عليه، ودلَّلته، وحكت له الحكاية. و«ناما في وقت واحد». وبموتها، فقد بيته الافتراضي، حيث كان يردِّد دائمًا: ضحكتها كانت بيتي. .. وحين أراد أن يتغزَّل بها شعرًا، فقد قال حالمًا ومتأسِّيًا: أنتِ جميلةٌ كوطنٍ مُحرَّر، وأنا متعَبٌ كوطنٍ محتل...

أما رضوى فقالت عن مريد «غريبٌ أن أبقى محتفظة بنفس النظرة إلى شخص ما، طوال ثلاثين عامًا، أن يمضي الزمن، وتمرّ السنوات، وتتبدَّل المشاهد، وتبقى صورتُه، كما قرَّتْ في نفسي، في لقاءاتنا الأولى». والمميَّز في قصة حبِّ مريد ورضوى أنه قد تركها تحبُّ وطنه، من خلال حديثه عنه. ويقول علماء النفس عن ذلك إن الحب قد يقع من الأذن أحيانًا كثيرة، مثلما أحب سجينٌ زوجة صاحبه، وهو يصفها، كلَّ يوم، بين الجدران، حتى إذا ما خرج، بعد وفاة صديقه في السجن، بحث عنها، وقرَّر أن يتزوَّجها. ولذلك فقد تعمَّق حبُّ رضوى مريد، حين حدَّثها عن فلسطين، وحين أدخلها بيوتها.

قصة حب مريد البرغوثي، في منفاه الأول، مع الشابَّة المصرية رضوى عاشور، مناسبة للقراءة، في أمسيات الوجع، فقد كتبها الزمن العربي الرديء،

> قصة حب مريد البرغوثي، في منفاه الأول، مع رضوى عاشور، مناسبة للقراءة، في أمسيات الوجع

فمِن المحزن أن تكون كلُّ مصيبة، أو كارثة، تحلُّ بوطنك مرتبطةً بمناسبة شخصية، وقد حصل مريد البرغوثي على شهادته الجامعية في جامعة القاهرة، وتخرَّج في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، في 1967، العام الذي احتلَّت فيه إسرائيل الضفة الغربية، ومنعت الفلسطينيين الذين تصادَف وجودُهم خارج البلاد من العودة إليها. وعن هذا كتب مريد، في كتابه الذائع «رأيت رام الله»: «نجحتُ في الحصول على شهادة تخرُّجي، وفشلتُ في العثور على حائط أعلِّق عليه شهادتي».

رحيل الشاعر الفلسطيني، مريد البرغوثي، في المنفى، هو رحيل الجسد، وبقاء الروح، كسنديانة، زيتونة عتيقة، في قرية فلسطينية، اسمها دير غسَّانة. أما شعر حبِّ الوطن والحبيبة فهو متَّسِع القاعدة، يستهوي القُرَّاء من كلِّ الأجناس، حيث إنه، كما يقول النُّقاد عنه، يتصف بالمشترَك الإنساني؛ ما يجعل شعره بالغ التأثير في قارئه، ووصفوا لغته بأنها حسِّية مادية ملموسة، ويعمل على ما اعتاد أن يسمِّيه تبريد اللغة، أي إبعادها عن البطولية والطنين، فنظم شعرًا في جُلِّه حبّ، وليس حشوًا، كما قد يفعل غيرُه من الشعراء.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**